نهر دجلة

الطافح بالجمال والخيرات

الريح تعبث بالامواج لاهية ... والنهر يسري السباب الطائف الوجل
فتارة يتلقى صفحة عنفت ... من الرياح فيطويها على خجل
وتارة تلثم الاغصان صفحته ... والطير يدفعه عن شكله الزجل
وقد يقبل أقدام الغصون ترى ... لم يفته دونه من ذل متذلل
أما ترى شعره المضفور تعبثه ... أيدي الرياح ؟ مواعظاً للمخضل
وربما كان فيه الضعف من مرض ... أما رأيت طليه رعشة الخجل ؟
وكم تصدّع منه مدة شمخت ... فأرجعته سهيداً باء بالفشل
لا تقربنّ له تلقى الحمام به ... أمباءة الموت مجرى باء السيل (1)
تراه طلق المحيّا باسماً ولقد ... طوى على الغلّ صدراً مرتع الدغل
يارب أشلاء غرقى بات يضمرها ... ببطنه ضاحك الأطراف ذو جذل
هذي القصور على جنب قد اتكأت ... وأطلعت حورها كنانة الحلل
ومدّ في جانب زاهي الرياض بنت ... أشجاره إذ علت فيه ذرى جبل
والظل أوقفه عرس الغصون ضحى ... يعد أعناقه شوقاً بالمطل
مادت وتاه آصالها طول الوقوف وهذا ... سببا تشكى العري في ملل
أو أنها ماتت الأغصان وانتقدت ... قصورها فهي في زور وفي خيل (2)
والطير فرّد شاقته الطبيعة في ... جمالها فتغنّى في هوى ثمل
تراه يكرع في الماء لذته ... كأنه يقتني كأساً من العسل
وغرّدت في أعالي الغصن زمره ... فطار في مرح للعب والنزل
(جوق) الطبيعة قد ناغاك زامره ... حيّا الصباح سيكفيه لدى الأصل (3)
وتحسب النور عند الفجر تعكسه ... الأمواه بحر لجين سال فيض علي

(1) هذا تعريج في صلاة نهر عمل (2) كبر (3) جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والغرب .

والظل يرقص مع غصن تمايل من ... هوى ألمّ فأرجعي كمن الخجل
كما تراقص زوجان استثارهما ... الى الصبابة (دنص) [1] فض بالقبل
يا حبذا خضرة الشاطىء فإن بها ... كشف الهموم وفيها جنة للمقل
كم تتعب العين أوراق مسوّدة ... ويصقل النفس قرب المنبت الخضل
لولا ضجيج (الجسر) ظلّ يزعجنا ... رقدت من جنة الفردوس في ظلل
وأسكنت في حمى الشاطى الفواحص والحجاب الظلام فقلبي في نعيم خلي
وكم رمت لي (سامراء) من (كلك) ... مشى يميل به البطيخ في كلل [2]
هذي الفواكه قد وافت بموعدها ... صدق الطبيعة وعداً مضرب المثل
والشمس مالت لجنب النهر صاحية [3] ... كأنها مقلة من عيني ذي حوَل
وذاك صائد أسماك [4] يطير على ... وجه المياه ترى عينيه في شغل
فإن رأى فوق سطح الماء تائهة ... هوى بشوق لها وانقضّ في عجل
وعاكسته (بنات الهند) [5] قد لبست ... حلياً يدوم ووجهاً غير منفصل
وردّدت لهنة تبدو غرابتها ... تبدي التبرّم زارتنا على ملل
لولا معاكسة الأيام ما تركت ... أهلاً تهاجر من أوطانه الأول
يا حبذا وثبة العصفور كافرة ... الى الأعالي به عن مصرع الوجل
والريح تعبق قد فاحت مطيبة ... من الرياض فأحيت دارس الأمل
قد حملتها زهور نشرها طرباً ... لعاشق الورد فيها طرف الرسل
والأفق أبيض وضّاح الجبين جلت ... أطرافه بسمة البشرى على جذل
عليه تبكي شمس الشرق بهجتها ... فالكون مزدهرٌ في حلة الطفل [6]
في وحدتي أتلظى بين عاطفة ... مشبوبة وفؤاد مضرم الغلل
أين الحبيب لقد أولاك غضبته ... فبت من لوعات الوجد في شغل
ما أعذب الليل لولا وحشة عرضت ... بهجر خلٍّ فأذكت في الحشا حللي

بغداد — ضياء الرفيلي

---

(١) رقصة مصرية (٢) سامراء مدينة على دجلة واسمها الباسي الأصلي سر من رأى ومنه يحمل البطيخ الى بغداد بكثرة تنقله أختاب يربط بعضها الى بعض وتحملها الدواب للفوضة وتدعى بلغة العراق (الاكلاك) قال في المنجد الكلك مركب يركب في أنهر العراق (٣) صاحية ولاه صفحة وجهه (٤) طائر يكثر في دجلة وقت الشتاء (٥) بنات الهند والهند عصافير سود صغيرة ترى الدامة انها في تغاريدها تتلو سورة الفيل من القرآن (٦) طلل الغداة بعد طلوع الشمس وطفل العشي قبل غروب الشمس .